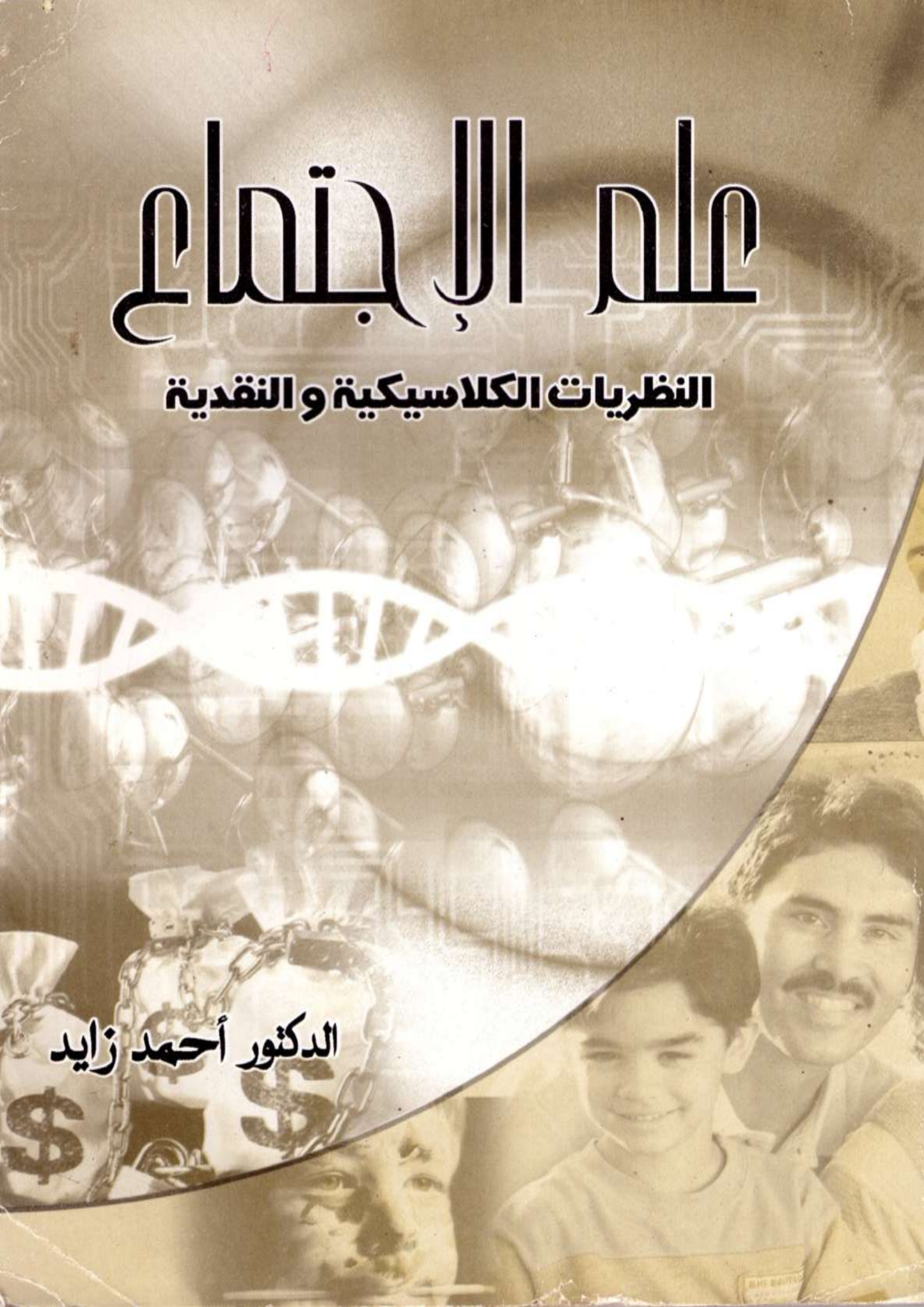


علم الاجتماع

النظريات الكلاسيكية والنقدية

الدكتور أحمد زايد



آراء كل من هذين العالمين مع آراء العالم الذى نقده فمالجت آراء كوهين مع آراء لوكود وآراء فان دن برج مع آراء دارندورف .

لولا - لويس كوزر ووظائف الصراع :

فى عام ١٩٥٦ نشر كوزر Lewis Coser دراسته بعنوان « وظائف الصراع الاجتماعى » The Functions of Social Conflict ولقد اعاد لويس كوزر بكتابه هذا الاهتمام بنظرية جورج زيميل على ما يذهب تيماشيف (٣) فال معروف ان زيميل (١٨٥٧ - ١٩١٨) قد اهتم بوظائف الصراع سواء اكانت وظائف ايجابية او وظائف سلبية . لقد ميز زيميل بين قوتين او عمليتين من عمليات التفاعل الاجتماعى : المنافسة والصراع ، والمنافسة تعد ضربا من الصراع غير المباشر ووظائفها ايجابية باستمرار . اما الصراع فيكون مباشرا يتحكم فى اهدافه احد طرفى الصراع وقد تكون وظائفه سلبية او ايجابية او كليهما معا (٤) . ويبدو ان كوزر لم يتأثر بزيميل وحده وانما تأثر ايضا بآراء جورج سمبسون الذى نشر دراسة عن « الصراع والمجتمع المحلى » عام ١٩٣٧ حاول فيها للربط بين افكار زيميل عن الصراع وافكار دوركايم عن التكامل الاجتماعى . لقد اهتم سمبسون بالطابع للتكامل للصراع ، وما يسهم به من وظائف فى التنظيم الاجتماعى ، وقسمه الى صراع مشترك وهو الصراع الموجه الى خارج الجماعة ، وصراع غير مشترك وهو الذى يحدث بين مكونات المجتمع نفسه . وكل فرع يسهم فى النهاية فى تحقيق التكامل الاجتماعى بين اجزاء المجتمع المحلى (٥) .

ولقد تأثر كوزر بزيميل وسمبسون بطبيعة الحال ، كما تأثر بالوظيفة وحاول مثله مثل سمبسون تماما ان يربط فكرة الصراع بفكرة التكامل ، والتوازن . عرف كوزر الصراع بأنه عملية اجتماعية ضرورية لفهم العلاقات الاجتماعية واعتبره نضالا وكفاحا حول القيم والمكانات ومصادر القوة . ويكشف هذا التعريف للصراع عن تأثره بزيميل الذى اعتبر الصراع عملية

(٣) تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .
(٤) عبد الباسط عبد المعطى ، فى نظرية علم الاجتماع ، القاهرة ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ ، ص ١٤٤ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٧ .

اجتماعية من عمليات التفاعل الاجتماعي (٦) . لكن دراسة كوزر مواجهة أساسا لدراسة وظائف الصراع الاجتماعي وكيف يساهم في تحقيق التكامل . وهنا يظهر تأثيره بالفكر الوظيفي . يقول كوزر ، يساهم الصراع داخل الجماعة في اقامة للوحدة والاتساق Cohesion عندما تكون الجماعة مهددة بالمشاعر العدائية والمتعارضة بين أعضائها . وتتوقف فائدة الصراع في تحقيق التكيف الداخلي على نمط المسائل المتصارع عليها ونمط البناء الاجتماعي الذي يظهر داخله الصراع ، (٧) .

وحول هذا النص تتركز كل أفكار كوزر ، فالصراع مهما تعددت أنماطه وفتواته يساهم في النهاية في تحقيق الوحدة والاتساق بين أفراد المجتمع . وهو خادم أمين للبناء الاجتماعي حيث يؤدي باستمرار الى اعادة تكييف المعايير وبناء القوة داخل الجماعات مع حاجة الأفراد والجماعات المكونة له . وقد ميز كوزر بين نوعين من الصراع : صراع داخلي وآخر خارجي وكلاهما مرتبط بالبناء الاجتماعي . والصراع الداخلي قد يكون صراعا مرتبطا بالأهداف والقيم والمصالح الرئيسية للجماعة ، وهذا هو الذي يؤدي الى التكامل . ومن الناحية الأخرى قد يقوم على قيم متنافسة متنافرة حيث لا يتفق طرفا الصراع على مجموعة من القيم تقوم عليها شرعية للنسق . في هذه الحالة قد يؤدي الصراع الى تهديد البناء الاجتماعي وانتهياره اذا لم يستطع البناء ان يتحمل هذا الصراع ويشكله داخل نظامه (٨) . فدرجة الانتظام المعيارى normative regulation للصراع داخل للنسق هي الأساس الذي ميز به كوزر أنواع الصراع الداخلي (٩) . فاذا انتظم للصراع في معايير كان صراعا وظيفيا يؤدي الى التكامل ، والعكس اذا لم تستطع المعايير أن تتشرب ما يفرزه المجتمع من صراع . أما الصراع الخارجى فيتصل بصراع الجماعة مع الجماعات الخارجية . مثل هذا الصراع يزيـد

(٦) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٧) Lewis Coser, The Functions of Social Conflict, the Free Press Glencoe, Ill, Copyright, 1956. p. 151

Ibid., p. 151. (٨)

(٩) عبد الباسط عبد المعطى ، في نظرية علم الاجتماع ، مرجع سابق ،

من التماسك الداخلى لكل جماعة • فهو يحرك كل قوى وطاقات أعضائها نحو مواجهة الجماعة الخارجية • فى هذه الحالة تقل للصراعات الداخلية الى أقصى درجة ، وى أن ظهرت تؤدى الى انهيار الجماعة من خلال الانقسام أو الهزيمة أو الانشقاق (١٠) •

وتختلف الأبنية الاجتماعية فى درجة تحملها للصراع أو درجة تشككه النظامى ، وبصفة عامة فى الطريقة التى تسمح من خلالها بالتعبير عن المشاعر العدائية التى تنشأ من التنافس على المصادر النادرة ، والهيبة الاجتماعية ، ومراكز القوة • فالجماعات المترابطة والتى يوجد دلخها درجة عالية من التفاعل والاندماج الشخصى فى البناء الاجتماعى تميل الى أن تكبت الصراع، الأمر الذى يؤدى الى تركمه ، ولذلك فإنه عندما يظهر يكون صراعا عنيفا ، هذا البناء المترابط يختلف عن بناء الجماعة الانقسامية • أن مثل هذه الجماعة يتسع بناؤها لصراعات متعددة • فطاقات أعضاء الجماعة تتحرك فى اتجاهات عديدة ، ومن ثم لا تتجمع فى خط صراعى واحد ينفذ خلال بناء الجماعة نفسها • وبالمثل يمكن أن تقارن بين بناء الجماعة التى تنخرط فى صراع خارجى ، وتلك التى لا تخبر مثل هذا للصراع • الأولى تكبت الصراعات الداخلية التى لو ظهرت لحطمت الجماعة أمام قوة الصراعات الخارجية ، والثانية تكتشف عن مرونة فى بنائها الاجتماعى تسمح بأنواع متعددة من الصراع تساهم فى تحقيق التوازن والاستقرار (١١) •

ويركز كوزر على جوانب الصراع التى تحقق الاستقرار والتكامل • فالمجتمعات المتصارعة التى تعتمد كل جماعة منها على الأخرى الى جانب الخطوط الصراعية المتقاطعة تربط أجزاء النسق الاجتماعى ببعضها ببعض • فالصراع الذى تمارسه المجتمعات - خاصة المجتمعات المفتوحة البناء - يخفف - أولا - حدة التوتر بين الأطراف المتصارعة ويعمل باستقرار على تقليل أسباب التفكك وإعادة للوحدة والترابط ، ويساعد - ثانيا - على إعادة المعايير القائمة أو على ظهور معايير جديدة • فهو بهذه الطريقة يعد ميكانيزما لتكييف مجموعة من المعايير تتلام مع الظروف الجديدة التى يخلقها • ويعمل

L. Coser, op. cit., p. 1153.

Ibid., pp. 152—153.

(١٠)

(١١)

- ثالثا - على تأكيد قوة المصالح المتعارضة داخل للبناء ، وهو بهذه الطريقة يخلق توازنا مستمرا في بناء القوة • ويؤدي - رابعا - الى تقليل العزلة الاجتماعية بين الجماعات والأحزاب ، وهو بذلك يؤدي الى ترابطها بصرف النظر عن كونها تحمل مشاعر عداوية • وإذا كان الصراع بهذه الطريقة يقرب بين الجماعات فان استمراره يعمل - خامسا - على المحافظة على الحدود الفاصلة بين هذه الجماعات • فالصراع بهذه الطريقة يحدد مركزا لكل جماعة فرعية داخل النسق وحدود العلاقات بين هذه الجماعات (١٢) •

يتضح من آراء كوزر في الصراع انه حاول أن يحقق درجة من التقارب بين دراسة الصراع ودراسة النظام • فأراؤه توحى بوجود علاقة متبادلة بينهما • فالنظام يؤدي الى الصراع : المجتمع المنظم الذي يكبت الصراع ينفجر فيه الصراع بعنف • وفي نفس الوقت فان الصراع يؤدي الى التوازن • ولكن ذلك الأخير لا يظهر الا في نمط معين من أنماط البناء الاجتماعي مثلما يظهر الأول في نمط مختلف • ولا أستطيع أن أجاري القول بأن محاولة كوزر هذه محاولة توفيقية بين نظريات الصراع ونظريات التوازن لأنها لا تبدو ان تكون نظرية في التوازن • فلو كانت محاولة توفيقية لاتخذت من المفهوم الماركسي نقطة انطلاق في دراسة الصراع وربطه بنظرية التوازن • ولكن كوزر لم يفعل ذلك ، لقد انطلق من فهم زيمل للصراع الى دراسة انواعه ووظائفه الاجتماعية خاصة تلك الوظائف التي تؤدي الى الاستقرار والثبات والتوازن وبالرغم من أن بعض الباحثين يعتبرون أن فهم الماركسي للصراع يمكن أن يكون فهمًا وظيفيًا ، من حيث أنه يوجه نحو تحقيق غاية نهائية (١٣) • الا أن مصادر الصراع والأشكال التي يتشكل بها والنتائج المترتبة عليه في المفهوم الماركسي تختلف اختلافا كلياً عن فهم كوزر للصراع •

ثانيا - ديفيد لوكود ونقد نظرية النسق :

إذا كان كوزر قد اهتم بوظائف الصراع دون أن ينقد نظرية النسق ، فان لوكود Lockwood قد قدم رؤية في الصراع قائمة على نقد نظرية النسق

Ibid., pp. 154—156.

(١٢)

(١٣) من حيث أن الصراع في المفهوم الماركسي يؤدي الى تبديل في علاقات الإنتاج لمصلحة طبقة البروليتاريا ويؤدي في النهاية الى مجتمع لا طبقي •

الاجتماعى . ذهب لوكود فى مثال شهير (١٤) الى ان اهتمام بارسونز بمشكلة للنظام العام فى المجتمع قد دفعه الى ان يقيم نظرية فى النسق الاجتماعى على أساس وجود معايير عامة تنظم « حرب الكل ضد الكل » .
فنظرية بارسونز مثقلة بافتراضات ومقولات تتصل بدور العناصر المعيارية فى الفعل الاجتماعى ، وهى تركز على العمليات التى من خلالها يتم ضبط بناء الدوافع معياريا للمحافظة على الاستقرار الاجتماعى . وهى بذلك تكون قد اهتمت مجموعة المصالح المتصارعة الى تشكل ما أطلق عليه لوكود الراق التحتى Substratum للفعل الاجتماعى أو النسق الاجتماعى .
والمصالح المتصارعة التى تكون هذا الراق التحتى من طبيعة مغايرة للمصالح التى يسمى الفاعل الى تحقيقها فى أثناء توافقه مع للتحديد المعيارى للموقف وهى مصالح غير معيارية ، ومن ثم يجب تحليلها بطريقة مستقلة عن البناء المعيارى (١٥) .

ولقد تأثر لوكود بماركس فى فكرته عن المصالح المتصارعة ، فهذه المصالح تنتج أساسا من الصراع الذى ينشأ حول توزيع الموارد الأساسية فى المجتمع . فالتنظيم الواقعى للصراع ، والقوى والمصالح والجماعات المصاحبة له هى التى تولد الصراع . وتمثل هذه المصالح النظام الواقعى Factual الذى يقابله النظام المعيارى الذى يحوى النظام الواقعى ويوجه السعى الدائم وراء المصالح فيه . وهنا نجد أن لوكود لا يرفض النظام المعيارى فهو عنصر من عناصر النسق يوجد مع وجود بنائه التحتى .
واعنى المصالح المتصارعة والقوة . ويظهر من آراء لوكود إهتمامه بالمصالح المتصارعة المتولدة من الصراع على الموارد النادرة الى درجة أنه جعلها شرطا لوجود النظام المعيارى . وإذا لم يكن هناك صراع على المصالح فلسنا بحاجة الى النظام المعيارى لضبط هذا الصراع ، فاستمرار النظام المعيارى مرهون بوجود واستمرار النظام الواقعى (١٦) .

David Lockwood, "Some Remarks on the Social (١٤)
System" British Journal of Sociology, Vol. 7, June, 1956, pp. 134-146.
Ibid., pp. 134-138. (١٥)
Ibid., pp. 138-146. (١٦)

وتكشف لنا آراء لوكود عن محاولة لتفادي الأخطاء التي وقعت فيها نظرية الفسق والتي من أهمها التركيز على النظام العام . ووسيلته الى ذلك هي للخروج من دائرة هذا النظام بالبحث عن أساس آخر للعلاقات الاجتماعية وحده في عالم المصالح المتصارعة والقوة . وفكرة المصالح المتصارعة فكرة ماركسية لا شك في ذلك . ولكن لوكود لم يأخذها مأخذا ماركسيا على طول الخط ، وإنما اعتبرها بناء تحتيا يشكل بناء فوقيا هو نسق المعايير التي تقوم بضبط البناء لتحتي وتنظيمه . ويكون لوكود بذلك قد خلق علاقة جدلية بين الصراع والنظام تكشف عن رؤية للمجتمع تحوى العنصرين معا دون التركيز على أى منهما برغم ان فكرة البناء لتحتي في ذاتها توحي بطفيان عنصر على عنصر آخر . واستطيع ان اقول ان لوكود برغم انه حاول ان ينقد الحل المعيارى لمشكلة النظام ، الا انه قدم حلا معياريا لها . فالذين قدموا حولا لهذه المشكلة - من هوبز الى بارسونز - يؤمنون ان حل هذه المشكلة هو حل لمشكلة الصراع ، فالمعايير في المشروع البارسونزى هي التي تحقق مستويات متعددة من التكامل داخل المجتمع ومي الإطار المرجعي لاختيار الأهداف والوسائل بمعنى أنها هي التي تضى على المجتمع قدرا كبيرا من النظام وتمنع ما به من صراع . فاذا جاء لوكود وقال بعلاقة جدلية بين المصالح المتصارعة والمعايير فانه لن يكون قد اضاف جديدا ، فاستمرار المعايير في التحكم في الصراع - في نسقه النظرى - يعد ضمانا للاستمرار والاستقرار داخل المجتمع . والذي يؤكد وجهة نظرى هنا هو ان بارسونز نفسه قد قدم هذه التفرقة بين النظام الواقعى والنظام المعيارى وهو بصدد تقديم حل لمشكلة النظام في كتابه « بناء الفعل الاجتماعى » على ما اوضحت في الفصل الثالث .

ولقد قام بيرسى كوهين Percy Cohen بنقد آراء لوكود وقدم صورة معدلة لها تكشف عن وجهة نظر في تفسير الواقع الاجتماعى قريبة من الآراء التي نناقشها في هذا الفصل . قبل كوهين آراء لوكود ولكنه انتقد وقوعه في بعض الأخطاء منها ما هو منطقى مثل القول بأن استمرار النسق المعيارى نفسه يعبر عن استمرار المصالح المتصارعة . فهذه الفكرة قائمة على الاعتقاد بأنه اذا كانت (أ) تتحكم في (ب) فان استمرار وجود (أ) يتطلب استمرار (ب) . وهى قضية غير منطقية . فالأفراد قد يقومون ببناء أسوار حول

النظريات الاجتماعية المتقدمة

دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة

الأستاذ الدكتور

احسان محمد الحسن

دكتوراه علوم في علم الاجتماع من جامعة لندن بدرجة امتياز

حائز على جائزة نوبل في العلوم الاجتماعية



الطبعة الثالثة

2015



الاجتماعية يرجع الى عوامل فكرية ومذهبية وعقائبة^(٤٢). ذلك ان الصراع بين المسلمين والسيخ يرجع الى المبادئ الدينية المتصارعة، وان الصراع بين الطبقات كالتبقة الوسطى والطبقة العاملة قد يرجع الى عوامل ذهنية او فكرية. لضافة الى الافكار المتناقضة والقيم المختلفة التي يعتقد بها الاقليات العرقية والتي تقود الى اقتتلها وتناحرها وصراعها كالتطاحن بين البيض والزنج وبين الساميين والاريين^(٤٣).

ومهما يكن من امر فان تنوع الفئات الاجتماعية والسياسية والدينية وسعيها للوصول الى ذفة الحكم والمساهمة في تحديد سياسة النظام الاجتماعي غالباً ما تقود الى اندلاع الصراع بينها. فقد تسيطر فئة على فئة اخرى، ومسيطرتها تجعلها تعتمد على سياسة معينة من شأنها ان تغير المجتمع من شكل الى شكل آخر^(٤٤). وعليه فان للتغير الاجتماعي يفسره كارل منهايم بظاهرة الصراع بين الفئات السياسية والاجتماعية والدينية المتناحرة. وعند سيطرة فئة اجتماعية او سياسية او دينية على الفئات الاخرى فان الفئة المسيطرة تبدل مسيرة للمجتمع في مجال يخدم اغراضها ومصالحها واهدافها وتوجهاتها.

المبحث الخامس : نظرية الصراع الاجتماعي عند رالف داهرنودف

رالف داهرنودف هو فيلسوف وعالم اجتماعي الماني، ولد في المانيا عام ١٩٢٩ وحصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة هامبورغ الالمانية وشهادة دكتوراه ثانية من جامعة لندن عام ١٩٥٧. نشر عدة مؤلفات اهمها كتاب " الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي " والذي توجد فيه نظريته الصراعية. علماً بأن هذا الكتاب قد ظهر لأول مرة عام ١٩٥٩^(٤٥).

لقد تأثر رالف داهرنودف بالافكار الاجتماعية والاقتصادية التي جاء بها كارل ماركس لاسيما الافكار التي تقول بأن هناك صراعاً طبقياً في المؤسسات

الصناعية، الا انه لا يعتقد بأن الصراع هذا هو بين الطبقة العمالية وطبقة ارباب العمل كما اعتقد ماركس، ولا يعتقد كذلك بأن سبب الصراع بين العمال وارباب العمل يرجع الى عوامل مادية. ان رالف داهرندوف يعتقد بأن الصراع في المؤسسات الصناعية يكون بين العمال والطبقة التكنوقراطية^(٤٦). ومثل هذا الصراع كما يعتقد داهرندوف لا يتحدد بالمؤسسات الصناعية بل يكون في المؤسسات الادارية ذات الطابع الحكومي وفي المؤسسات الصحية وفي المؤسسات العسكرية^(٤٧). ان الصراع في المؤسسات الادارية للحكومية كما يرى داهرندوف يكون بين ابناء الطبقة للتكنوقراطية الذين هم خريجي الجامعات والكوار العملية التي تحتل المراكز القيادية في المؤسسات الادارية للحكومية وبين الكتبة والموظفين الصغار^(٤٨). كما ان الصراع في المؤسسات العسكرية يكون بين الطبقة التكنوقراطية ونواب الضباط او المراتب في القوات المسلحة^(٤٩).

اما سبب الصراع فلا يرجع الى العوامل المادية التي اكد عليها كارل ماركس بل يرجع الى عوامل سيطرة الطبقة للتكنوقراطية على القوة والنفوذ في الدوائر التي يعملون فيها وعدم سيطرة الكتبة والموظفين للصغار على القوة والنفوذ الاجتماعي^(٥٠). لذا سيطرة طبقة على القوة والنفوذ هو الذي يوجب نار الصراع الاجتماعي بين الطبقتين الاجتماعيتين.

وما يتعلق بالصناعة يعتقد رالف داهرندوف بأن الصراع لا يكون بين العمال ومالكي وسائل الانتاج كما اعتقد كارل ماركس بل ان الصراع يكون بين العمال والطبقة التكنوقراطية^(٥١). علماً بأن الطبقة للتكنوقراطية لا تمتلك المشروع الصناعي بل تديره فقط لقاء رواتب معينة. وان هناك فصلاً في المؤسسات الصناعية الحديثة بين ادارة المشاريع وتمويلها، فادارة المشاريع الصناعية هي بيد التكنوقراطيين الذين لا يمتلكون المشاريع التي يعملون فيها بل يديرونها لقاء رواتب شهرية او سنوية معينة. اما ملكية المشاريع الصناعية فهي بيد المساهمين، اي اصحاب الاسهم الذين يمولون المشاريع عن طريق عدد اسهمهم. لذا لا يواجه